

قصة صحفية بعنوان:

و
الحلم

إشراف الدكتور: عثمان الطاهات

الطالب: عبد الرحمن علي زينو

مرت ثلاثون سنة على سؤال أستاذي لي: ماذا ستصبح عندما تكبر؟
ما زلت حتى الآن أتذكر الرهبة التي اتابني حينها، وشعوري بالإحراج من إجابتي
أمام زملائي: سأصبح عامل نظافة!

الجميع من حولي نظر إلي بتلك النظرة المليئة بالازدراء والاحتقار، حتى أن أستاذي
أصابته الصدمة من إجابتي، عامل نظافة؟! هكذا رد علي مستغرباً..

ما زلت حتى هذه اللحظة أتذكر ملامح زملائي، وضحكاتهم الساخرة مني التي
ارتسمت بوضوح على محياهم، لم يفهم أحد إجابتي، امتلأت عيناوي بالدموع، طلبت
من أستاذي الإذن للمغادرة، ذهبت إلى المنزل، لم أكلم أحداً، ولم أتناول أي شيء،
أغلقت باب غرفتي وأمضيت ليلتي تلك ساهراً دون أن يغمض لي جفن، كانت فكرة
الدوام في اليوم التالي مرعبة بالنسبة إلي، كنت أعلم أنني سأعرض للمزيد من الإهانات

من رفقاء المدرسة، فأنا الطالب الجديد في صفهم، وقد زدت الطين بلةً بإجابتي
البارحة.

في الصباح التالي، استجمعت قواي وعزمت على الذهاب إلى المدرسة غير مبالي بما
سألاقيه، استقبلني طلاب صفي بالهتافات التي ما زال وقع صداها يتردد في أذني إلى
يومنا هذا، لن تمحى عبارات مثل (إجا الزبال) من ذهني إطلاقاً، غير أنني لم أشعر
يوماً بالحقدهم تجاههم، بل على العكس تماماً، فقد كانوا السبب الرئيسي الذي دفعني
إلى تحقيق حلمي!

سأصبح عامل نظافة، كانت إجابة طفولية تنبع من بركان ألم سببه لي فقدان بطلي
وقدوتي الأول، الرجل الذي رباني صغيراً وفقدته قبل أن أكبر، نعم إنه عامل النظافة
الذي كانت أقصى طموحاتي تمثل في أن أصبح مثله!

كبرت ولم أتخلى عن حلمي، وما زال ذلك الرجل قدوتي ومثلي الأعلى، كنت عازماً
على المسير على دربه، وكلما بردت همتي قليلاً كنت أستذكر هتافات زملائي، مما
يدفعني مجدداً إلى العزم على الوصول إلى مبتغاي.

أكملت دراستي الجامعية، ونلت تقدير "ممتاز" في تخصصي، لم أدخل هذا التخصص
عبثاً، رغم أنه ليس ذا شعبية واسعة، إلا أنني كنت أحبه لأنه الطريق الذي سيقودني
إلى تحقيق حلمي.

(حماية البيئة) . . لم أخبر أحداً من أصدقائي أو أقاربي أنني سجلت في هذا الفرع إلا
وعاتبني العتاب الكثير، ما عدا أمي!

كانت الوحيدة التي وقفت إلى جانبي ولم تؤنّبني على اختياري، كيف لا وهي التي
وقفت إلى جانب عامل النظافة البسيط ذلك، وتحملت معه قسوة الحياة لمدة تزيد

على ثلاث عشرة سنة، قبل أن يصاب بالتهاب الكبد الوبائي الحاد، والذي كان سبباً
في وفاته.

مرت ثلاثون سنة، وها أنا الآن رأس الجمعية العامة لحماية البيئة، نعم لقد حققت
حلمي وسرت على خطى والدي، أصب معظم تركيزي حالياً على العناية بعمال
النظافة لوقايتهم من الأمراض، من خلال تأمين الرعاية الطبية لهم، وتزويدهم بما
يحتاجونه من ملابس وأدوات سليمة وغير ذلك.

أقمت قبل مدة مأدبة غداء، دعوت إليها أستاذي القديم ومن استطعت أن أصل إليه
من زملائي، شكرتهم جميعاً لأنهم كانوا السبب الرئيسي فيما وصلت إليه الآن.

أما الآن، فإني أوصي أولادي دائماً بأن يحموا، وأن يعملوا على تحقيق أحلامهم
وطموحاتهم، وأحذرهم من الاستخفاف بطموح الآخرين، وأذكرهم دائماً أن عامل
نظافة كان قدوة لمن يرويه قدوة لهم الآن.